ماذا يفعل . وكان في جملة المسافرين رجلٌ من اشراف الانكليز اسمه المستر هرمن وهو شيخ واسع الثروة جدًّا ولكنهُ في عُزلةٍ عن الناس لا يميل الى معاشرتهم ويقضي اكثر اوقاتهِ في املاكهِ البعيدة عن المدن الآهلة وكان مسافراً الى بليموث ليقضي فيها بضعة ايام في قصرٍ لهُ في ضواحيها . ورأى المستر هرمن جورج يبكي على اثر الاصطدام المذكور فاقترب منهُ وسألهُ هل اصابك ضررٌ يا فتى . قال لا ولكن قُتل ابي وامي وبقيت وحيداً لا اعرف احداً ولا ادري اين اذهب . ثم استخرط في البكآء والنوح فرقّ لهُ قلب المستر هرمن واخذ يلاطفهُ ويعزّيهِ ثم حملهُ معهُ في عربةٍ حتى بلغ بليموث فاستصحبهُ الى قصرهِ وجعلهُ عندهُ كولدهِ . ورأى جورج من انعطاف المستر هرمن عليهِ وجمال القصر وتوفر اسباب السرور ما انساهُ مصابهُ فعاد الى سرورهِ وحبورهِ وهو يطفر في غرف القصر ويمرح لاعباً . وكان الغلام بهيَّ الطلعة ذكيَّ الفؤاد فأحبهُ هرمن ووجد بهِ تعزيةً لهُ في شيخوختهِ فعاملهُ معاملة الاب لابنهِ الوحيد . وكان اصطدام القطار قد اضرَّ بصحة المستر هرمن فلزم قصرهُ في بليموث ولم يعد يفكر في تركها فاستحضر اساتذة لتعليم جورج وبقي واياهُ في تلك البلدة الى ان شبَّ . ولما كان المستر هرمن لا تمكنهُ مفارقة البيت كان جورج يقضي اكثر اوقاتهِ معهُ يقرأ لهُ او يقصُّ عليهِ الحكايات التي قرأها ولم يكن يخرج من البيت الاَّ نحو ساعة كل يوم يقضيها في بيت سيدةٍ تعرَّف بها في تلك البلدة وهي ارملةٌ ولها ابنة تسمى اميليا . فأحب جورج الفتاة واحبتهُ هي ايضاً محبة شديدة وكانت والدة اميليا تعرف غنى هرمن ومحبتهُ لجورج فتاكدت انهُ لعدم وجود

وارث لهُ لا بد ان يوصي بجميع املاكهِ لجورج ففرحت جدًّا بتعلقهِ بابنتها وكانت تجتهد في تمكين المحبة بينهما

ودامت الحالة على ما ذكر الى ان بلغ جورج الثامنة عشرة من عمرهِ وازدادت صحة المستر هرمن سوءًا وجعل مرضهُ يشتدُّ يوماً بعد يوم حتى يئس الاطبآء من شفآئهِ . ولما شعر بدنوّ اجلهِ دعا جورج اليهِ واخذ يكلمهُ فقال

قد فقدتَ يا جورج والديك وجميع مالك فأخذتك وربيتك كابني وقد اطلعتك على جميع مقتنياتي واملاكي وحساباتي فأنت في معرفة احوالي مثلي . والآن فاني اشعر بدنو اجلي وقد كتبت امس وصاتي الاخيرة وسجّلتها وعهدت اليك في انفاذها وقد استدعيتك الآن لابلغك ارادتي الاخيرة

فأصغى جورج بمزيد الانتباه ومرَّت امام عينيهِ آمال المستقبل وظن ان المستر هرمن سيوصي لهُ بجميع املاكهِ واموالهِ فيسرع الى حبيبتهِ اميليا ويتزوج بها ويعيش سعيداً . ثم اتمَّ الشيخ حديثهُ فقال اني قد خصصتك يا جورج بمبلغ الف جنيه . فاضطرب جورج عند سماعهِ هذا المبلغ فقط ولكنهُ اخفى ما بهِ فقال الشيخ واما باقي مالي واملاكي فقد جعلتهُ لوارثٍ لي اجهلهُ فعليك انت ان تتوصل الى معرفتهِ وتوصلهُ اليهِ فاسمع ما اقول . كان لي شقيقةٌ تدعى ماري تزوجت بغير رضاي من رجلٍ يقال لهُ ليوبلد غراي وعلمت انني غير راضٍ عن هذا الزواج فغادرت بيتي وذهبت مع زوجها الى ليدس وهو هناك صاحب نزل حقير يدعى نزل الغزال . ومذ ذاك انقطعت اخبارها عني سوى انني علمت بعد ثلاث سنوات ان زوجها توفي ثم توفيت هي تاركةً ولدًا لها في الشهر التاسع من العمر ولم اعلم اذكرٌ ذلك

الولد ام انثى ولكنهُ مهما يكن ففيهِ من دم أُسرتي ولا اسمح ان يُهان او يشقى ما دام في الوسع اغاثتهُ ولذلك فقد خصصتهُ بجميع مقتنياتي . فعليك اذاً بعد موتي ان تسعى في اقتفآء اثرهِ وتبحث عنهُ فاذا وجدتهُ فسلّم اليهِ كل شيء واذا لم تجدهُ فيجب ان تبحث عن صك وفاتهِ فاذا حصلت عليهِ ولم تبقَ في موتهِ شبهة فجميع مقتنياتي تكون لك اذ ليس لي بعد هذا الوارث سواك فهل تقسم لي انك تفعل كما قلت لك . فجثا جورج امام الشيخ واقسم لهُ ان يفعل حسب ارادتهِ تماماً . فتنهد الشيخ ثم ضم جورج الى صدرهِ وقال قد اتممت الآن ما عليَّ فأموت مطمئنّ البال ثم اسلم الروح

فاهتمّ جورج بتجهيزهِ ودفنهِ على ما يليق بمكانهِ ثم انصرف لترتيب حساباتهِ وانهآء اشغالهِ والاهتمام بالبحث عن الوارث المذكور . وفي ذلك المسآء ذهب الى بيت حبيبتهِ اميليا فاخبرها بما جرى فلم يهمها شيءٌ من ذلك لانها لم تكن تسأل عن شيء سوى جورج . اما والدتها فاستآءت من وصية المستر هرمن وغاظها هذا الوارث الجديد ولكنها علّلت النفس بأمل عدم الاهتدآء اليهِ حيًّا بل غلب على ظنها ان يكون قد مات من زمان وان تلك الثروة الطائلة ستعود الى جورج فيصير صهرها وهكذا ضمنت لابنتها المستقبل السعيد

اما جورج فعزم على السفر الى ليدس وفي اليوم الثالث ودّع اميليا ووالدتها وسافر ولما بلغ ليدس سأل عن نزل الغزال فارشدوهُ اليهِ فتوجّه توًّا . وكان صاحب هذا النزل اذ ذاك رجلاً في منتصف العمر وكانت اول مرةٍ رأى فيها رجلاً شريفاً يقصد نزلهُ فجعل يدور في خدمتهِ ويجدّ في

سبيل سروره وراحتهِ . وكان جورج قد اعياهُ تعب السفر والجوع فطلب طعاماً واكل ثم تمدَّد على كرسيٍّ واستدعى اليهِ صاحب النزل وجعل يسألهُ عن مدة خدمتهِ في النزل وعن سلفهِ الى غير ذلك من الاسئلة علهُ يهتدي بشيءٍ من القرائن الى معرفة الولد . ففهم من مجمل حديثهِ ان صاحب النزل الحالي استولى عليهِ منذ تسع عشرة سنة اي منذ وفاة صاحبهِ السابق وكان اسمهُ ليوبلد غراي وان ليوبلد ترك زوجتهُ حُبلى فلم يمكنها متابعة الشغل فيهِ وخشيت ان تلد في ارض غريبة لا انسبآء لها فيها ولا معارف فباعت النزل للصاحب الحالي وسافرت قاصدةً يورك . ولم يتمكن جورج من معرفة اكثر من ذلك فنام ليلتهُ وفي الصباح التالي انطلق الى يورك وجعل يبحث عن امرأةٍ قدمت اليها في التاريخ الذي علمهُ من صاحب الفندق . وبعد ان بحث يومين بحثاً مواظباً توصل الى معرفة الغرفة التي اكترتها ماري غراي فقصدها ولما بلغها طلب مواجهة صاحبة البيت فظنتهُ يريد اكترآء احدى غرفها فاستقبلتهُ باسمةً فقال لها هل تذكرين يا سيدتي امرأةً جآءتكِ منذ تسع عشرة سنة وهي حاملٌ فاكترت منكِ هذه الغرفة . قالت نعم اذكرها لانها بقيت عندي مدة . قال وما تعلمين عنها قالت انها بعد ان نزلت عندي ببضعة اسابيع رزقها الله ولداً لست ادري هل كان ذكراً او انثى وبعد ما تماثلت من نفاسها اكترت لها فندقاً في ضواحي المدينة وكانت تشتغل فيهِ مدة ستة اشهر ثم بلغنا انها توفيت الى الله وان رجلاً كان خادماً عندها صفّى حساب الفندق وسافر بالطفل الى حيث لم نعلم ولعلّ سفرهُ كان الى لندن

ورأى جورج في طريقهِ عقبات ونازعتهُ نفسهُ الى لقآء اميليا فأرجأ

البحث ورجع الى بليموث وقصّ على اميليا ووالدتها ما كان من بحثهِ . وكان في بليموث فتًى يدعى اميل كان يرافق جورج في الصيد وبلغتهُ القصة فقال لجورج اراك قد مللت من البحث وهذا امرٌ يقتضي صبراً طويلاً وتنقيباً مدققاً وربما استغرق اشهراً فمن رأيي ان تكل هذا البحث الى من يكون اجلد منك على مشاقّ السفر ومعاناة الاتعاب فاختر لك رجلاً تعتمدهُ وتنقدهُ نفقات سفرهِ وبضعة دنانير فيعود اليك بالخبر اليقين بدون ان تكلف نفسك هذا السعي الشاق . قال جورج ومن اين لي من يقوم بهذه المهمة . قال اميل انا لها اذا فوّضتها اليَّ . ففرح جورج واثنى على اميل ثم اطلعهُ على وصية المستر هرمن وعما عرفهُ في سياحتهِ ونقدهُ مبلغاً من المال وسافر على بركات الله

وبعد ان اتى على ذلك مدة خمسة عشر يوماً عاد اميل من سفرتهِ فاستقبلهُ جورج بكل احتفاءٍ وسألهُ عن مسعاهُ فقال اظنني ادركت الغاية فانني سافرت توًّا الى يورك ودققت البحث في الفندق الذي يئست انت عندهُ فعلمت ان الخادم الذي اخذ الطفل اسمهُ رابول وان الطفل ابنةٌ سافر بها الى لندن حيث اقام يعمل في صناعتهِ ويربيها ولا تزال عندهُ الى اليوم وهو مقيم في الطفة الاولى من شارع استرند في لندن . فاذا شئت ان تواجههُ فما عليك الا ان تسافر الى حيث اعلمتك وتسأل عن رابول فتراهُ وترى الفتاة واسمها على اسم والدتها ماري وهي صبيحة الوجه بهية الطلعة شقراء الشعر . فما صدق جورج ان سمع منهُ ذلك حتى ذهب توًّا الى محطة القطار فسافر الى لندن وتوجه الى شارع استرند وسأل عن بيت رابول

فوجدهُ مقفلاً فسأل الجيرة فأخبروهُ ان رابول سافر فاستاء جورج لاخفاق مسعاهُ ورجع الى المحطة وهو في غمٍّ عظيم . ولما دنا مسير القطار رأى بين المسافرين رجلاً يناهز الخامسة والثلاثين من عمرهِ وبصحبتهِ فتاةٌ في مقتبل الشباب بهية الطلعة شقراء الشعر فخفق قلبهُ ولزمهما عن قربٍ علهُ يتحقق شيئاً قبل ان يبادئهما بحديث وعلم انهما يقصدان بليموث فازداد سرورهُ . ولما دخلا العربة دخل على اثرهما وجلس يتقدهما بتأمل ثم اصغى الى حديثهما فسمع الرجل ينادي الفتاة باسم ماري او السيدة غراي وهي تناديهِ باسم رابول فلم يعد عندهُ ادنى شك في انها وارثة المستر هرمن وسُرَّ باهتدائهِ اليها لانفاذ وصية مربيهِ وان لم يخلُ من الاغتمام لوجودها حيةً وحرمانهِ تلك الثروة الطائلة . ثم انهُ لما رأى جمال ماري البارع خطر لهُ فكرٌ آخر ان يتزوج بها فتبقى الثروة لهُ ولكنهُ للحال تذكر اميليا فارتعشت فرائصهُ واستنكر هذا الفكر الطارئ . وبعد قليل دخل جورج معهما في الحديث فتبين لهُ ان الفتاة لا تعلم شيئاً من امر خالها هرمن وانها آتية مع رابول لقضاء بضعة ايام في بليموث تبديلاً للهواء . ولما بلغ الثلاثة المدينة اخذهما جورج الى نزلٍ يقيمان فيهِ وعاملهما بمزيد الاحتفاء والعناية وفي اليوم الثاني اجتمع بالفتاة واطلعها على حقيقة الامر فسرَّت جدًّا وسألتهُ متى يمكنها ان تستولي على تلك الاملاك فقال حالما يفرغ المحامي من مطالعة اوراق التركة وسآمرهُ بذلك اليوم وربما انهي الامر في هذا الاسبوع . وتوجه جورج الى بيت اميليا فاطلعها على جلية الخبر غير ان والدتها لم تعتقد اعتقاد جورج وحدثتها نفسها ان في الامر نوعاً من الدسيسة . واشتغل

المحامي بالاوراق حسب امر جورج ولكنهُ كان يحب جورج حبًّا صحيحاً ويود ان لا يحرمهُ ذلك الارث العظيم وظن كوالدة اميليا ان في ظهور الوارثة سرًّا فأجَّل الامر الى اسبوع واخذ يفحص عن حقيقة المسألة . وقلَّت زيارات جورج لاميليا لاشتغالهِ بماري وادرك الجميع ذلك منهُ فكانت اميليا في كمدٍ داخلي عظيم . اما ماري فكانت تلحّ على جورج بوجوب انهآء الامر وحصولها على حقها الشرعي في اسرع ما يمكن . ولما كان اليوم السادس من وصولها الى بليموث استدعت جورج وقالت لهُ انت تعلم ان المستر رابول هو الذي رباني ولهُ عليَّ حقُّ الوالد على الولد وقد بلغنا اليوم خبر سيئ في الغاية وهو انهُ خسر في اشغالهِ ثلاثة آلاف ليرة وهو يكاد يموت غمًّا ولما كان من المفروض عليَّ مؤاساتهُ واعانتهُ فاحب ان اعوض عليهِ هذا المبلغ بجزءٍ يسير من إرثي فاذا كان امر التركة لم ينتهِ بعدُ فارجو ان تنقدني الآن هذه الدفعة من اصل حقي تداركاً لحال هذا الرجل والحَّت عليهِ في ذلك حتى خرج جورج ووعدها انهُ يواجه المحامي في المسآء ويحضر منهُ المبلغ . وبعد ان تناول جورج العشآء توجه الى بيت المحامي فقيل لهُ انهُ ذهب الى بيت اميليا فتعجب جورج من هذه الزيارة وتذكر انهُ لم يزرها من مدة فتبعهُ الى هناك . وبعد ان جلس هنيهةً قال للمحامي اتيتك في طلب ثلاثة آلاف ليرة لصاحبة الارث دفعةً من اصل ارثها لداعٍ موجب . قال المحامي ولكنني لا يمكنني ان اعطيك درهماً واحداً قبل نهاية تحقيقي . فاغتاظ جورج من هذا الجواب وصاح بهِ ويحك الا تدري اني انا الوصي المطلق وليس لاحد ان يعارضني فيما افعل فانا آمرك ان تجهز لي المبلغ غداً صباحاً . وقبل ان

يتم جورج كلامهُ فُتح الباب ودخل فتًى قصير القامة حادّ النظر فحيَّا باحترام . فتعجب الجميع من دخول هذا الغريب الاَّ المحامي فتبسم لهُ وقال ما ورآءك يا وليم . ثم نظر الى الجالسين وقال انني خامرني شكٌّ في امر السيدة ماري ورفيقها رابول ولم اعتقد انها الوارثة الشرعية فأجلَّت الامر واستدعيت من لندن المستر وليم وهو من ادهى رجال الشحنة فكلفتهُ ان يتحقق ذلك وقد وصل الآن وفي ظني ان كل واحد منا يودّ سماع ما سيقولهُ . فتوجهت ابصار الجميع الى وليم واصغوا لهُ اسماعهم فقال لقد ثبت لي ان رابول وماري ليسا الاَّ اثنين من المتطوّحين اصحاب الجرائم استأجرهما احد اللصوص لسلب إرث المستر هرمن . فلم يكد جورج يسمع ذلك حتى ارتعد جسمهُ وجحظت عيناهُ وصاح بهِ ماذا تقول . فتبسم وليم وقال اسمع يا مولاي . ان صديقك بل عدوك اميل لما اطلع على وصية المستر هرمن وسوس اليهِ الشيطان باختلاس الثروة ولما اخبرتهُ بما اسفر عنهُ بحثك الاول سافر الى لندن واستأجر هذه العاهرة ورفيقها اللص بمبلغ جسيم ليأتيا على الصورة التي رأيتها حتى اذا حصل الإرث في يدها صرفتهُ الى اميل واستوفت اجرتها منهُ ولكن ساء فألهما فلن يدركا منهُ ولا قدر قلامة . فتبسم المحامي لفوزهِ وبرقت اسرة والدة اميليا لتحقق زعمها . اما جورج فلبث مبهوتاً ونظر الى اميليا فرآها مطرقةً الى الارض وكان ذلك اعظم توبيخٍ لهُ على اهمالهِ اياها . ثم قال المحامي لوليم أوَلم تعرف لنا شيئاً عن الوارث الحقيقي للمستر هرمن . قال وليم بلى فان ما ذكرتهُ الآن لم يشغلني سوى بضع ساعات اما معظم وقتي فقد صرفتهُ في اقتفآء اثر الوارث الحقيقي وقد وجدتهُ والحمد لله . فصاح الجميع

وجدتهُ فمن هو واين هو . قال وليم هو قريبٌ منا وفي بليموث فان ماري شقيقة المستر هرمن لما كانت في يورك ولدت غلاماً لابنتاً ثم اتخذت لها فندقاً ترتزق منهُ ولبثت فيهِ مدة ستة اشهر قبل وفاتها واتفق في يوم موتها ان مرَّ من هناك رجلٌ يدعى المستر بلاك ومعهُ زوجتهُ فقصدا الفندق ودخلاهُ فلم يجدا فيهِ احداً سوى جثة الام والولد الباكي ولم يكن لهما اولاد فحملا الغلام معهما الى لندن بعد ان كتبا في دفتر الفندق عملهما هذا حتى اذا وُجد للغلام من يسأل عنهُ يمكنهُ الاهتداء اليهِ . ولكن لم يكن من يهمهُ امرهُ فبقي عند المستر بلاك ودعاهُ جورج ورباهُ كولدهِ مدة ثماني سنوات وبعد ذلك سافر المستر بلاك بأهل بيتهِ لقضاء فصل الصيف في بليموث فاصطدم القطار في الطريق قرب بليموث وقُضي على المستر بلاك وزوجتهِ وبقي جورج وحيداً للمرة الثانية فعطف الله عليهِ قلب المستر هرمن وهو في الحقيقة خالهُ فاخذهُ اليهِ وها هو انت ايها المستر جورج الوارث الوحيد لاملاك خالك ومقتنياته . وان شكَّ احدٌ فيما اقول فلينظر الى هذه الاوراق ثم بسط اوراقاً وشهاداتٍ عديدة تؤيد قولهُ بالحجج والبراهين الساطعة . فتعجب الجميع واقبلوا يهنئون جورج ويتمنون لهُ الخير . وفي اليوم الثاني رفع المحامي القضية الى الحكومة فالقى القبض على اميل وماري ورابول وبعد التحقيق حُكم على الاول بالاشغال الشاقة وعلى الاثنين الآخرين بعقابٍ اخفّ منهُ قليلاً . اما جورج فتزوج باميليا وكافأ محاميهُ ووليم مكافأةً سنية وعاش مع زوجتهِ بتمام السعادة والغبطة متمتعاً باملاك خالهِ واموالهِ

اسرار العين

لا شك ان العين هي اشرف الحواس واوسعها ادراكاً وابعدها تناولاً واجلها منفعةً لانهُ بها تُدرَك صُوَر الاشيآء بالوانها واشكالها ومقاديرها ومسافاتها وهي رسول الانسان الى ما يحيط بهِ من عالم المنظور وكتابهُ الذي يتصفحهُ على مرّ الاوقات فيستنبط منهُ بدائع العلوم والآلة التي يستعين بها على مزاولة الاعمال ولهُ فيها من اللذة بما تورد عليهِ من المناظر المتنوعة والمشاهد المتتابعة ما لا تعدلها فيهِ حاسَّةٌ اخرى فهو ابداً منها في معرضٍ حافل لا يعدم فيهِ شاغلاً لذهنهِ او فؤادهِ ولولاها لكان كالسجين لا يخرج من مكانهِ ولا تتعدى حواسُّهُ جدران سجنهِ وكان بينهُ وبين سائر الموجودات حجابٌ لا يُخرَق

والعين على ذلك من اعجب الاعضآء خلقةً وادقّها تركيباً واصفاها جوهراً والطفها حسّاً لان مُدرَكها هو امواج النور الذي هو الطف شيء في المحسوسات وهي مكوَّنةٌ على هيئةٍ بها تخترقها تلك الامواج وتحمل اليها صُوَر الاشيآء فترتسم فيها بادقّ مميزاتها واخفى مشخّصاتها . وليس غرضنا في هذا الموضع تفصيل اجزآء العين وبيان ما في خلقها من الحكمة البالغة فذلك مما تكرر الكلام فيهِ حتى صار اشهر من ان يذكر وانما القصد هنا بيان بعض ما خُصَّ بهِ هذا العضو العجيب من غوامض الاسرار التي حُجبت عن ادراك كنهها عقول الحكمآء وكُفَّت عن حلّ رموزها بصائر العلمآء